

السينما الأمريكية وصناعة خطاب الكراهية الناعم: الإسلاموفوبيا نموذجاً

American cinema and the hate speech industry: Islamophobia as a model

لامية طالة

كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، talla.lamia@univ-alger3.dz

تاريخ النشر: 2023/07/11

تاريخ القبول: 2023/05/17

تاريخ الاستلام: 2022/11/27

ملخص:

تعد الصورة النمطية السلبية للإنسان العربي المسلم من أهم هذه الصور التي تتناقلها السينما الأمريكية وتروج لها من خلال أفلامها التي لم تترك بمؤثراتها وتقنياتها مجالاً للتفكير، فقد قدمت السينما للمشاهد في أغلب الأحيان صورة استشراقية مشوهة للمسلم من خلال سياق بصري ممتع جداً يجعل المشاهد يستقبل ما يراه باعتباره حقيقة لا تترك مجالاً للتفكير أو التشكيك بها من خلال فضل المسلمين على مر العقود، ومتجاهلين الفرق بين الإسلام والإرهاب، وبين المسلم والعربي، متغافلين عن المرجعية الحقيقية لديهم، مشددين على الدلالات التي تهدم ولا تبني.

بالتالي تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أنماط صناعة الصور المقولبة وسياساتها وسبل تشكيلها والخطر الحقيقي الناتج عن تشويهها بشكل متعمد، وذلك من خلال الكشف عن الصور النمطية للمسلم في السينما الأمريكية، إذ تناولت هذه الدراسة ظاهرة الإسلاموفوبيا أو ما يسمى بالرهاب من الإسلام والتي تبدو أنها معبرة عن نوع من التعارض القيمي والديني، وبالتحديد التخوف من الدين الإسلامي ومن كل ما هو إسلامي، لاسيما إذا اقترن ذلك الرهاب بالشحن الإعلامي. كلمات مفتاحية: السينما الأمريكية؛ صناعة خطاب الكراهية، الإسلاموفوبيا؛ الصور النمطية.

Abstract:

The negative stereotype of Arab Muslim is one of the most important of these images transmitted by American cinema and promoted through its films, which have not left room for thought with their influences and techniques. Cinema has often presented the viewer with a forward-looking, distorted image of the Muslim through a very pleasant visual context that makes the viewer receive what he sees as a reality that leaves no room for thought or doubt.

This study therefore aims to highlight the patterns, politics, ways of shaping stereotypes and the real danger of their deliberate distortion by revealing the stereotypes of Muslims in

American cinema. This study deals with the phenomenon of Islamophobia or so-called Islamophobia, which seems to reflect some kind of value and religious conflict, specifically fear of Islamic religion and all that is Islamic.

Keywords: American Cinema; Hate Speech Industry; Islamophobia; Stereotypes.

مقدمة:

لم تكن الصور السلبية للعرب والمسلمين في الإعلام الأمريكي وليدة تدمير برج التجارة العالمية، بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 وما تلاها من أحداث وحروب من حملاتها ضد الإسلام والعرب وأوغلت في تقديم صورة مشوهة ومصطنعة عنهم وجعلت من العادات والتقاليد العربية مدخلاً لازدراء العرب وتحقيرهم والاستخفاف بحضارتهم، وتجاهلت المساهمات العربية والإسلامية في شتى نواحي الحياة، وتعمدت تكوين تصور مفبرك عن تعاليم الدين الإسلامي ومنهجه حتى باتت النظرة إلى العالم العربي والمجتمع الإسلامي في مخيلة المواطن الأمريكي مرتبنة بالإرهاب والعنف والتطرف، وأمسّت المنطقة العربية في تصوّره الذهني مصدرًا للاضطرابات العالمية. إنما هي قديمة بدأت في التفشي والانتشار كظاهرة إعلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وبلغت ذروتها لدى الأمريكان بسقوط البرجين.

لا يقتصر ذلك على وسائل الإعلام الأمريكية الرسمية والجادة فقط، بل وظفت شركات الإنتاج السينمائي وعلى رأسها هوليوود التي هي الأساس وسيلة للترفيه والتسلية من خلال أفلامها وإنتاجها السينمائي لتمير معلومات ومفاهيم وقناعات مكذوبة وعنصرية عن الإسلام يشرف على معالجتها خبراء ومختصون في أساليب الدعاية والحرب النفسية.

فهي تحمل مضامين تساعد على تشويه الدين الإسلامي وتختزله في ديانة تتبنى العنف وتحرض على التطرف وتعارض الحداثة، وتساهم في غرس وتعميق مفاهيم الإسلاموفوبيا والربط بين الإسلام والإرهاب والشعائر الإسلامية والتطرف.

الكثير من الأفلام الأمريكية السينمائية تصور العربي والمسلم ما بين ذلك الانتحاري الأصولي المتعصب والمتعطش للدماء الذي ينفذ عمليات قتل إرهابية بشعة وغير إنسانية لا تمس ولا تصيب إلا المواطنين المدنيين الصالحين الأبرياء، أو ذلك الثري المغفل الذي ينفق

أمواله الطائلة التي حصل عليها مقابل النفط في التمتع مع الحسنات اللواتي حُرِمَ منهن في بلاده المنغلقة والرجعية.

تسعى دائماً إلى طمس الحقائق وخلط المفاهيم وبث الأكاذيب عن الإسلام والعرب والتركيز على نقاط الاختلاف والتمايز بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية وتضخيم الفروقات وتعميقها، وتعمل على تأكيد مصداقيتها من خلال إبراز ما تعانيه المجتمعات العربية من قمع للحريات وتطاول على حقوق الإنسان، وأيضاً من خلال إثارة قضايا المرأة في المجتمعات العربية، مما يؤدي إلى تضليل الرأي العام العالمي وتأليب ضد الدين الإسلامي والمجتمع العربي.

تنامي هذا السلوك الإعلامي غير المسئول والأخلاقي أدى إلى ارتفاع نسبة الكراهية والعنصرية عند الجمهور الأمريكي ضد المسلمين ودفع كثير منهم إلى الإقدام على الاعتداء فعلياً على المسلمين والعرب، وصل بعض منها إلى القتل ونعتهم بـ "العرب الوسخين" و "المسلمين القذرين".

وهو موضوع دراستنا حيث سيتناول دور هذه الصناعات السينمائية في عملية "شيطنة المسلمين والعرب"، من خلال نشر ما يسمى بـ "الإسلاموفوبيا" أو "رهاب الإسلام" وترسخها، وكل ما ينتج عن هذا التشويه من "كراهية الإسلام" التي تنشرها الأفلام السينمائية الأمريكية من خلال الصور النمطية التي تبثها السينما الأمريكية، والأضرار التي تقع على المجتمع الإسلامي نتيجة ذلك التشويه، وكذا إمكانية مواجهته والتصدي له. أهمية الدراسة:

تعتبر السينما ذات تأثير كبير على الجمهور، والسينما الأمريكية إحدى أهم هذه المنابر التي تؤثر على الوعي الجمعي العالمي إذ إنها تحظى بنسبة مشاهدة عالية جداً، فهي حاصلة على شعبية هائلة لتنوعها وجودتها العالية فنياً وتقنياً، ومن الضروري أن نتعرف على خصائص هذه السينما ومميزاتها.

وفي هذا الصدد لطالما أصبحت نتائج ثقافة الصورة تتلاعب بالعقول، وتفصل متابعيها عن الواقع الحقيقي من خلال ممارسة هيمنتها في تشكيل شخصية الإنسان وتصوراتها بشكل يفوق خبراته الفعلية اليومية المعاشة، وقد توغلت الصورة أيضاً داخل وعي الإنسان وأصبحت قادرة على توجيه آراءه وسلوكياته، خاصة الأفلام، لطالما كانت الولايات الأمريكية

تستخدم في صناعاتها السينمائية مواضيع تمس بالمسلمين والإسلام من خلال تكريس صورة نمطية مغلوطه ذات قراءات ودلالات عميقة عن المسلمين، ومن خلال دراستنا التي تكتسي أهميتها في كونها تحاول إبراز السبب وراء الاختلاف بين صورة العالم العربي في الولايات الأمريكية وواقعه، ويتجلى هذا في إيصال معلومات ووجهات النظر المختلفة.

تساؤلات الدراسة:

ولإثراء الإشكالية المطروحة سنقوم بطرح مجموعة من التساؤلات التي تمثل ركائز أساسية لتفكيك هذه الإشكالية وتمثل فيما يلي:

- ❑ ما هو التوصيف النظري لمصطلحي الإسلاموفوبيا و خطاب الكراهية؟
- ❑ ما هي أبرز المعاني والرسائل الضمنية التي نُقلت للمشاهد عن المسلم في الأفلام الأمريكية؟
- ❑ كيف يتم صياغة هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في السينما الأمريكية؟
- ❑ ما هو دور هذه الصورة النمطية والقالبية المشكلة للفرد المسلم في تفاقم ظاهرة الإسلاموفوبيا وتسويقها؟

1. خطاب الكراهية: التعريف، الخصائص ومعالجته عبر وسائل الإعلام:

إن مصطلح "خطاب الكراهية" Hate speech مصطلح إشكالي، بسبب الاختلافات الجمة حول تعريفه، فلا يوجد له تعريف موحد مقبول عالمياً، ولا له معنى محدد يمكن أن يكون محل قبول من الجميع، ليتم اعتماده عالمياً. فلفظ الكراهية يعني القبح وإثارة الاشمئزاز وبغض شيء ما، والحقد والغضب والشعور بالضغينة تجاه شخص ما، فأن يكره الإنسان شيئاً ما فهذا يعني أنه مقته، أي أبغضه ولم يحبه؛ كما يعرفها آخرون على أنها حالة طبيعية، تنتج من عدم قبول جزء من العقل المختص بالمشاعر والأحاسيس، في بعض العناصر الداخلة إليه، عن طريق الأعصاب الدقيقة؛ وذلك نتيجة تأثير العالم الخارجي على هذا الشخص (عبد السلام، 2021، ص 59).

فخطاب الكراهية هو كل كلام يثير مشاعر الكره، نحو مكون أو أكثر من مكونات المجتمع، وينادي ضمناً بإقصاء فرد أو جماعة بالطرد والإفتاء، أو بتقليل حقوقهم، كما يحوي هذا الخطاب ضمناً أو علناً، كل كتابة وكل خطاب أو عمل، يقصد منه أو ينتج عنه

إشارة نعرات مذهبية أو عنصرية، أو دعوة للعنف، أو الحض على النزاع بين الطوائف والجماعات. فكل قول علني حرض على العنف، أو مهد لبيئة الفتنة، وأحدث خللاً في الأمن الفكري والنفسي والمجتمعي... يعد خطاب كراهية؛ بل وكل عنف لفظي، وكل تعبيرات قدح استعلائية، وكل خطاب مصحوب بإقصاء الآخر، لأن منشؤه ومنطلقه الخطاب الدوني، والكره البين، والتعصب الفكري والتمييز العنصري، يمكن أن يدخل دائرة خطاب الكراهية (الحبيب، 2011، ص 38).

يوصف خطاب الكراهية بأنه: خطاب عدائي مرضي يوظف في وسائل النشر والإعلام لتحقيق أهداف ومصالح ذات طابع عدائي. وإن ظواهر الخطاب العدائي تعود جذورها إلى عمق التاريخ، فالكراهية من النزعات العدوانية الكامنة في النفس البشرية نتيجة لعوامل التنشئة التي تعد من المؤثرات الأساسية المكتسبة في البيئة الاجتماعية، فالعدائية تنمو بتأثيرات البيئة والظروف التي تحيط بالفرد وتشكل أفكاره واتجاهاته وميوله، وعندما تجد هذه النزعة عمليات تغذية وحث ستنمو في الذات الفردية وتتطور لتنتشر في الجماعات الاجتماعية، وقد تشمل الأغلبية في بعض المجتمعات.

لذلك فإن حماية الأمن والسلم الاجتماعي يتطلب مظلة سياسية واقية للبنى الاجتماعية خالية من النوايا السيئة، لأن الآثار السلبية التي تحصل في البنية الاجتماعية لم تحصل لأسباب اجتماعية بحتة ومجردة، وإنما غالباً ما تكون انعكاساً للممارسات السياسية السائدة في المجتمع (مزوز، 2016، ص 92).

وعلى الرغم من الإيجابيات العديدة التي حصلت بفعل تطور تقنيات الاتصال والمعلوماتية، فإن خضوع العديد من وسائل الإعلام الدولية والإقليمية والعربية للاستثمار التجاري وتحويل مضامين وسائل الإعلام الجماهيري إلى سلع تخضع للأرباح والخسائر، كان دافعاً لاستثمارها من قبل بعض أصحاب الأموال وتوظيفها لترويج مضامين العنف والكراهية وإثارة الفتن والصراعات في العديد من المجتمعات الدولية إلى الدرجة التي أضحت فيها العديد من وسائل الإعلام أخطر من فوهات المدافع عندما تستخدم في حملات التضليل الإعلامي والحروب النفسية التي تستهدف الروح المعنوية للعديد من المجتمعات، على الرغم من إمكانية استخدامها للترفيه والتنمية والتقدم الاجتماعي (العاروري، 2016، ص 43).

1.1. خصائص إعلام الكراهية: يمكن التأكيد على أن خصائص الوسائل الإعلامية التي تمارس الكراهية كثيرة ومتعددة، غير أننا نستطيع حصر أهمها، في كون هذه الوسائل تمارس الدعاية والتضليل، العنصرية والتطرف، ونشر الأكاذيب، كما تقوم باختلاق الخلافات وتضخيم الاختلافات، وسنفصل في ذلك فيما يأتي:

✓ إعلام الكراهية يمارس الدعاية والتضليل: بجدر التأكيد أن الدعاية و التضليل هي من أعظم خصائص وميزات الإعلام الذي يمارس الكراهية، وهي ممارسة قديمة تطورت أشكالها بتطور تكنولوجيا الوسائل الإعلامية.

✓ العنصرية والتطرف: تبين مختلف تقارير الرصد الإعلامي حول الممارسة الإعلامية في المنطقة العربية، استمرار وسائل الإعلام في إيقاظ أو إنتاج مشاعر العنصرية، والقبلية، والجهوية، والتطرف الديني و السياسي، لدى فئات واسعة من الجماهير، وهو وضع يعرف تعقيدا أكبر، خاصة مع الأزمات السياسية الناجمة عن الأحادية الفكرية الراضة للتنوع الاجتماعي والثقافي والديني واللغوي الذي نعرفه مختلف المجتمعات.

✓ إعلام الكراهية يتميز بنشر الأكاذيب: وهي ظاهرة و خاصة مهمة في الممارسة الإعلامية المنتجة للكراهية، حيث أن الكثير من الدراسات بينت العلاقة بين انتشار الأكاذيب في المضامين الإعلامية وتسيير الأزمات والنزاعات في المجتمعات، و علاقة وسائل الإعلام بالسلطة السياسية والممارسة الديمقراطية، وتوضح مختلف تحاليل المضامين الإعلامية إلى العلاقة بين انتشار ونشر وبث الأكاذيب مع إرادة نشر الحقد والكراهية في المجتمع.

✓ إعلام الكراهية يتميز بتضخيم الاختلافات واختلاق الخلافات: وهي من أهم خصائص الإعلام الذي يمارس الكراهية، حيث يعتمد على اختلاق الخلافات بين مختلف الفاعلين في المجتمع، كما يعمل على تضخيمها بما يمكن من كسر أي توافق في المجتمع، وقد اهتم بعض الباحثين كثيرا بهذه الإشكالية من منطلق ربط مثل هذه الممارسات الإعلامية بالمؤامرات وسياسات النخب العسكرية والسياسية والأمنية، والشبكات المالية والاقتصادية. وغالبا ما يهدف تضخيم الخلافات واختلاق الاختلافات إلى تبرير الإقصاء، وتغذية التعصب الفكري واللغوي والنظرة الاستعلانية، وهو واقع لا يمكن حصره في اللفظ فقط، ولكن في باقي تصنيفات الكراهية التي قد لا تجد لها قوانين ردعية، ومع زرع خطاب التعصب و تضخيم الخلافات يتحول التعصب والإقصاء إلى ثقافة تعبير للعديد من الفئات

الاجتماعية بمختلف ميولاتها وتوجهاتها الإيديولوجية بسبب الدور السلبي للمنظومة الإعلامية (بوجمعة، 2020، ص 13-16 بتصرف).

يجتاح خطاب الكراهية جميع أنحاء العالم، كالنار في الهشيم، وتسملت لغة الاستبعاد والتهميش إلى وسائط الإعلام والمنصات الإلكترونية والسياسات الوطنية، وتواجه المجتمعات مستويات معقدة من التعصب - بما في ذلك تصاعد كراهية الإسلام والمسلمين واضطهادهم. وقد حذرت الأمم المتحدة من تنامي خطاب الكراهية ضد المسلمين وقالت إن الكراهية ضد المسلمين وصلت إلى "أبعاد وبائية" عقب أحداث 11 سبتمبر عام 2001 في الولايات المتحدة، والأعمال الإرهابية المنفذة باسم الإسلام، وأوضح أن الإسلاموفوبيا تبني هياكل خيالية حول المسلمين تُستخدم لتبرير التمييز الذي ترعاه الدولة والعداء والعنف ضد المسلمين، مع ما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة بالنسبة إلى التمتع بحقوق الإنسان. وأشار المقرر الدولي إلى أن التمييز والعداء بسبب الإسلاموفوبيا كانا في كثير من الأحيان متقاطعين، إذ "قد تواجه النساء المسلمات عقوبة ثلاثية لكونهن نساء وأقلية عرقية ومسلمات".

وأوضح بالقول "الصور النمطية الضارة والمجازية عن المسلمين والإسلام تُعزز بشكل كبير من قبل وسائل الإعلام الرئيسية والسياسيين ذوي النفوذ والمؤثرين في الثقافة الشعبية والخطاب الأكاديمي" (mubasher.aljazeera.net/news/2021/3/5).

تنامي هذا السلوك الإعلامي غير المسئول والأخلاقي أدى إلى ارتفاع نسبة الكراهية والعنصرية عند الجمهور الأمريكي ضد المسلمين ودفع كثير منهم إلى الإقدام على الاعتداء فعلياً على المسلمين والعرب، وصل بعض منها إلى القتل ونعتهم بـ "العرب الوسخين" و "المسلمين القذرين"، بالتالي عملت هذه الصناعات السينمائية على "شيطنة المسلمين والعرب"، من خلال نشر ما يسمى بـ "الإسلاموفوبيا" أو "رهاب الإسلام" وترسخها، وكل ما ينتج عن هذا التشويه من "كراهية الإسلام" التي تنشرها هذه الأفلام السينمائية الأمريكية من خلال الصور النمطية التي تبثها والأضرار التي تقع على المجتمع الإسلامي نتيجة ذلك التشويه.

الإسلاموفوبيا... المسألة النظرية للمصطلح:

تعتبر ظاهرة الإسلاموفوبيا من المفاهيم القديمة والمستجدة في آن الوقت، فهي قديمة قدم الدين الإسلامي نفسه، وحديثة؛ إذ ظهرت بشكل ملفت للانتباه مع هجمات 11 من سبتمبر 2001، وتطورت مظاهرها وأشكالها مع انتشار الإعلام الإلكتروني بمختلف تطبيقاته الحديثة، حيث أصبح لا يخلو أي مجال من هذه الظاهرة، والتي لا تخرج عن حالة العداء والكراهية للإسلام والمسلمين، للتعبير عن أي حادثة أو عملية عنف مادي أو معنوي تحدث في الغرب، وبدون أدنى تحري يتم ربطها مباشرة بالجمالية المسلمة.

نشرت الكاتبة والصحافية "كارولين فوريسست" في مقال بعنوان "لا تخلط بين الإسلاموفوبي والعلماني" المنشور في جريدة "Libération" في 2003 حيث تقول: "كلمة 'إسلاموفوبيا' لها جذور ينبغي معرفتها قبل استخدامها عبثاً، حيث أنها استخدمت لأول مرة سنة 1979، من قبل رجال الدين الإيرانيين (الأصوليين) الذين وصفوا النساء اللواتي يرفضن ارتداء الحجاب 'بالمسلمات السيئات' واتهامهنّ بـ 'الإسلاموفوبيات' (Hajjat, Marwan, 2016, p 69).

إن مصطلح "الفوبيا" أو الرهاب، مستمد في الأصل من علم الأمراض النفسية، ليتم التعبير بواسطته عن نوع من أنواع العصاب القهري، بحيث لا يملك المريض القدرة على التحكم في ردود أفعاله عند تعرضه لموضوع خوفه، فيضيق صدره ويجف ريقه وتزايد ضربات قلبه ويشحب وجهه وترتعش أطرافه، ليدخل في حالة فعلية من الفرع غير المسيطر عليه.

فهذا المصطلح مصطلح قديم نسبياً، وعاد للاستخدام مؤخراً ليعني أو يشير إلى التحيز والتمييز ضد الإسلام أو المسلمين، لكنه انتشر "كالنار في الهشيم" في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وتتداخل مع هذا المفهوم، مفاهيم أخرى، مثل العنصرية- القائمة على معاداة العرب والإسلام- وآخرها تسمية الإسلام بالفاشي، والمسلمون بالفاشيين. أو ما يعرف بالخوف لدى علماء النفس، ورهاب الإسلام هو لفظ حديث نسبياً يشير إلى الإجحاف والتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، مثير للجدل يُعرفه البعض على أنه تحيز ضد المسلمين أو شيطنة المسلمين (سبع، 2018، ص 184).

واستناداً لهذا يمكن القول بأن الإسلاموفوبيا لغة: خوف لا شعوري ولا مبرر ورفض عشوائي للإسلام فكرة وممارسة، وهو الفزع من الإسلام وكرهه، والخوف من المسلمين وكرههم. وهي أبلغ تعبير عن وضعية الإسلام في الغرب، فهي كلمة دخلت قاموس السياسة الأوروبية وتحولت إلى مفردة لها معان محدودة إذ تشير لظاهرة تخوف المجتمع الغربي من الإسلام. فهي إذن مصطلح دخيل وليس عربية، ولا يصح تداوله إلا بالحروف اللاتينية، أما تداوله بالحروف العربية فليس بالضروري مفهوماً عند كل من يتحدث بالعربية (صالح، 2020، ص 269).

وعليه فإن مصطلح الإسلاموفوبيا (Islamophobia) يترجم إلى العداء والخوف والرهاب من كل ما هو إسلامي، أو يمت بصلة قريبة أو بعيدة للإسلام. حتى أصبح "الإرهاب" في قاموس العقل الغربي مرادف للإسلام).

بشكل عام فإن الإسلاموفوبيا معناها الكراهية أو الخوف من الإسلام، وهي موجودة في الدول الغربية

وثقافتها منذ قرون، ولكنها ازدادت وضوحاً وتطرفاً في السنوات الأخيرة في شتى القطاعات، و يحدد غوردون كونواي Gordon Conway سبع سمات أساسية لهذه الظاهرة مرتبطة ببعضها البعض والحديث عن سمة منها يثير ضمناً بقية السمات، وهي:

- رؤية الثقافة الإسلامية على أنها متحجرة وغير قابلة للتغير.
 - الزعم بأن الثقافة الإسلامية تختلف اختلافاً كاملاً عن الثقافات الأخرى.
 - التيار الإسلامي مصدر تهديد دائم .
 - الزعم أن أنصار الإسلام يستخدمون تهديداتهم أساساً استخداماً سياسياً وعسكرياً.
 - رفض انتقادات المسلمين الموجهة للمجتمعات والثقافات الغربية رفضاً لا شعورياً .
 - الخوف من الإسلام والعداء العنصري لهجرة المسلمين لدول أوروبا.
 - اعتبار العداء للمسلمين أمراً طبيعياً ولا يمثل أي مشكلة (البنّا، 2008، ص 65).
- من خلال كل ما سبق يمكننا بناء تعريف إجرائي لمفهوم الإسلاموفوبيا، بالقول أنها ظاهرة قديمة متجددة ترتبط أساساً بتزايد مشاعر العداء والكراهية تجاه الإسلام والمسلمين في

الدول الغربية وتأخذ عدة أشكال وصور في مجالات مختلفة، كما أنها لا تتوقف عند الكراهية الفكرية التي تصور الإسلام والمسلمين في حالات من الجمود والتخلف والرجعية، وأن الإسلام هو دين منتج للإرهاب والتطرف، بل تتعداه إلى الكراهية الممارساتية المتمثلة في جرائم عنف وعنصرية ضد الجالية المسلمة وممتلكاتها وأماكن عبادتها كحرق المساجد، ومنع دخول المحجبات إلى بعض المؤسسات الحكومية والتعليمية أو فصل من وظيفة أو مسكن.

وهنا يجب التمييز في التعامل مع مفهوم الإسلاموفوبيا بين مرحلتين أساسيتين تقف أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 حدا فاصلا بينها: مرحلة ما قبل الحادي عشر من سبتمبر 2001 والتي تتميز بندرة استخدام المفهوم، و بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من نفس السنة زادت وسائل الإعلام تكريس الصورة السلبية مع ربطها بقتل الأبرياء، وللأسف أن هذه الصورة الذهنية عملت في المجتمع الغربي دون مقاومة تذكر من الإعلام العربي و المسلم، مما رسخ الصورة وزاد انتشارها في وسائل إعلام شرق آسيا، حيث أصبح استعمال المفهوم دارجا على لسان الكثيرين في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية عرف على أثرها مفهوم الإسلاموفوبيا بأنه: "كراهية ورفض الإسلام مختزل في كيان شرير، ورفض فهم أن الإسلام مجموعة من القيم شاملة على المستوى الاجتماعي والأخلاقي والإنساني. وهذه الكراهية للإسلام تغذت على أحكام مسبقة و قوالب جاهزة سلبية تمارس غالبا خلطة بين مفاهيم متعددة مثل: إسلام، عرب، مسلم، متأسلم، إرهابي، أصولي... من جهة وبين ثقافة ودين من جهة أخرى". (صالح، 2020، ص 271-272).

إن صناعة الخرافات لإثارة الرعب من المسلمين حرفة قديمة، فقد ذكر الرئيس الأمريكي السابق "نيكسون" في كتابه "اقبض على اللحظة"، بأن الإسلام قوة هائلة وأن تزايد عدد سكانه والقوة المالية التي يملكها يشكلان تحديا كبيرا للغرب، وأن الغرب عليه تشكيل حلف جديد مع موسكو بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لمواجهة عالم إسلامي معاد ومعتد، فالإسلام والغرب متناقضان.

بعد أحداث 2001، جاءت تصريحات العديد من السياسيين لتغذية العداء ضد المسلمين، فقد استعمل الرئيس الأمريكي "جورج بوش"، عبارات مثل "الحرب المقدسة" والتي أثارت جدلا شديدا وكان لها وقع خطير، رغم تراجعها عن تصريحاته وزيارته لمسجد

واشنطن، والاجتماع بممثلي المسلمين في أمريكا... أيضا تصريحات رئيس الوزراء الإيطالي سابقا "برلسكوني"، والتي عدّ فيها الحضارة الإسلامية أقل شأنًا من الحضارة الغربية؛ لأنها متعصبة ومنغلقة على نفسها، ومن ثمّ متخلفة عن الركب الحضاري الإنساني المعاصر... وعلى المستوى الديني صرح القس البروتستانتي "فرانكلين غرام"، أحد أبرز رجال الدين المسيحيين في أمريكا في مقابلة له في قناة NBC الأمريكية، "... الإسلام دين شيطاني جديد، ... بل أن الإسلام هو الذي هاجم أمريكا في أحداث سبتمبر 2001، كما أن المسلمين يعبدون إلها مختلفا عن الذي يعبدّه المسيحيون.... !!!".

تفاعلت هذه التصريحات الصادرة من قيادات سياسية ورجال دين غربيين مع التعليقات والتحليلات الصحفية في الغرب فكان التأثير والتأثر والتكامل والانسجام، نتجت عنه حملة شرسة على الإسلام والمسلمين وحضارتهم، وموجة عنصرية راح ضحيتها المواطنون المسلمون المقيمون بصفة شرعية وقانونية في الدول الغربية. كما طال الخوف من الإسلام المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في الغرب التي تعرضت للتخريب (بن سعيد، 2010، ص 117-118).

وعموما فقد نجح الغربيون في رسم صورة مشوهة للعرب والإسلام، والحضارة العربية والإسلامية في الذهن الغربي، وأن تلك الصورة المشوهة هي السائدة حتى اليوم في الكتب المدرسية الغربية والمناهج التعليمية في المدارس والجامعات في أوروبا؛ وأن وسائل الثقافة والاتصال الحديثة في الغرب تبث الصورة النمطية، والاختزالية، والسلبية التي رسمها الاستشراق للعرب والإسلام في السينما، وذلك في ظل الغياب التام لسياسة ثقافية إعلامية عربية موجهة إلى الغرب لإعادة تشكيل صورة حقيقية مشرفة للعرب والإسلام، والرد على حملات التشويه المخططة والمنظمة والموجهة إلى العرب والمسلمين.

بين الإسلاموفيليا (حب الإسلام والمسلمين) والإسلاموفوبيا: لفظ جديد ومصطلح مصطنع، استعمل من قبل العديد من السياسيين وعلماء الاجتماع والصحافيين، لوصف حالة الافتنان بقيم الإسلام، وعموما إبداء الإعجاب بالحضارة الإسلامية، وقد استعمله الصحفي Julie Burchill في صحيفة The Guardian بتاريخ 18 سبتمبر 2001، أين عرض فكرة الإسلاموفوبيا والإسلاموفيليا، واستنتج أن الإسلاموفيليا تولدت نتيجة لبعض الشعور بالذنب أو الجرم نحو زملائه الذين تعرضوا لابتزاز لأنهم ذوي أصول إسلامية.

فحسبهم إن الإسلام شريعة ربانية يريد الله من المؤمنين أن يطبقوها في السلم والحرب؛ لذلك وجدت قبولاً من الناس عندما رأوا الإسلام واقعاً مشاهداً في حياة الفاتحين فشدهم صدقهم وإخلاصهم، وسعدوا بعدلهم، وجذبهم أخلاقهم، وأسرتهم تعاليم دينهم، حيث يقول المستشرق درايبير: "الإسلام ناصر الحرية والمساواة التي كانت في الحقيقة نسيت على أرض الحضارات التي تغلب عليها، مع أن كثيراً من الديانات والمذاهب الأخلاقية دعت إلى المساواة بين البشر فإن الإسلام وحده فيما يبدو وحتى الآن هو الذي نجح في غرس هذه التصور في تفكير وسلوك المؤمنين به الواعين لحقيقته" (Volpi, 2003, P 115).

1.2. الإسلاموفوبيا والغرب... الأسباب والدوافع:

يعزز صاموئيل هنتنجتون Samuel Huntington في نظريته صدام الحضارات ظاهرة الخوف من الإسلام، إذ يرى أن زيادة أعداد المسلمين المهاجرين إلى الغرب، وكذلك ارتفاع أعداد المعتنقين للإسلام، يشكل تهديداً حقيقياً يزاحم الغرب، كما يرى أنه بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، تشكل الحضارة الإسلامية البديل والعدو الجديد للغرب (هنتنجتون، 2010، ص 279).

وقد تبني العديد من المفكرين والمحللين السياسيين هذه النظرة العدائية تجاه الغرب، حيث صرح الأمريكي برنارد لويس Bernard Lewis في محاضرة له عام (1990) بمخاوفه تجاه الحضارة الإسلامية المعارضة للغرب والمهددة لقيمه، التي لا تقبل الاختلاف، ولا تعترف بالآخر، مما يؤكد على ديمومة الصراع بينهما وحتميته. ويتفق الباحث البريطاني رونميدي تروست Runnymede Trust معهما في كتابه الإسلاموفوبيا تحد لنا (Islamophobia: Challenge for Us) الذي يؤكد فيه أن القيم الإسلامية لا يمكن أن تتفق أو تنسجم والقيم الغربية (بن سعيد، 2010، ص 114).

تكمن أهم الأسباب الحقيقية التي تقف وراء الخوف من الإسلام في تمسك المسلمين بهويتهم الإسلامية وتشبثهم بها، وصعوبة اندماجهم في المجتمعات الغربية. فعلى عكس المجتمعات الرأسمالية فإن الإسلام يؤمن بأن السلطة المطلقة في الله، وأن حاكمية الكون له وحده. وشكل انتشار الثقافة الإسلامية وخاصة في صفوف الشباب، وتنامي الصحوة الإسلامية أو المد الإسلامي بكل أشكاله، وتزايد أعداد الحركات الإسلامية التي تهدف إلى إقامة

نظام إسلامي لا يقبل الذوبان مع الغرب عاملاً أساسياً للخوف من الإسلام وأتباعه (بشاري، 2004، ص 14).

كما أن امتداد الجهل بالإسلام وأتباعه على مدار سنوات شكل وباء يواجه المجتمعات الغربية بأكملها، إذ تمكنت المناهج الغربية ووسائل الإعلام بكامل تقنياتها وأساليبها من تعزيز هذا الجهل العمد والخلط الخطير بالحقائق الدينية الإسلامية، فقد ركزت هذه الوسائل واقتصرت في حديثها على الديانة المسيحية، وإظهارها على أنها البديل الطبيعي للإسلام، وعملت على تشويه صورة المسلم، وإظهاره بصورة الإرهابي المتعصب المحارب للأمريكا وإسرائيل والغرب الذي يهدد أمنها واستقرارها، مما يزرع الخوف والرعب ويرسخه في قلوب المواطنين الغربيين (بن سعيد، 2010، ص 151).

ويشكل البعد الديني والتاريخي بين الإسلام والمسيحية عاملاً يستدعي التنافر بينهما، فبسبب حملات التبشير الدينية السياسية بعد الحملات الصليبية، تعتمد المتطرفون من أتباع الكنيسة وrehبائها على تشويه صورة المسلمين ومعاداة الإسلام بقصد التخويف منه، من أجل تخليص العالم من هذا الشر. حيث أشار صاموئيل مارينوس زويمر Samuel Marinus Zwemer في مؤتمر القدس التنصيري عام (1935) أن المهمة الأساسية من عملية التبشير هي إخراج المسلمين من الإسلام لا إدخالهم في المسيحية بالتالي قطع أي صلة حقيقية له بالله (أبويحي، 2002، ص 236)، وذلك ما يؤكد أنه على الرغم من ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا في القرن العشرين، إلا أن حقيقة الخوف من الإسلام متجذرة في ذاكرة الغربي وعقله منذ القدم، ويتم تناقلها من جيل إلى جيل.

تشير عدد من الدراسات في تناولها لظاهرة الإسلاموفوبيا، إلى أنها أطروحة وهمية لا صحة لها، حيث أنها صناعة يتم تعزيزها وحجبها من قبل الحكومات الغربية، والحركة الصهيونية، وأنصارهم، في محاولة لمواجهة هذا الخطر الإسلامي الداهم والتخلص منه ومن كل ما قد يحمله من أفكار دينية سياسية ثقافية تتعارض مع الغرب. من أجل ذلك، كان التخويف والإرهاب هو الحل الأنجع والمطلوب لدفعه وللتخلص منه. حيث أفصح الباحث الفرنسي فانسن جيسر Vincent Geisser في كتابه الإسلاموفوبيا الجديدة، إلى أن الإسلاموفوبيا ظاهرة سياسية من اختراع مفكرين غربيين تربطهم علاقات مع أجهزة

الاستخبارات الفرنسية، مثل ألكسندر ديل فال Alexandre del Valle ، وتاغيفيف Pierre-André Taguieff وغيرهم (أبويحي، 2002، ص 112).

وفي خضم كل ذلك يبدو أن المستفيد الأول هو الأمريكي، الذي جعل من ظاهرة الإسلاموفوبيا والحرب على الإرهاب غطاءً أيديولوجياً لشرعنة العنف الممارس من قبله تجاه المسلمين الذين يقاومون النفوذ الأمريكي والإسرائيلي.

ويمكن القول إجمالاً بأن (الإسلاموفوبيا) من الظواهر السياسية التي تعود أسبابها إلى عوامل مختلفة ومتداخلة، كما تعتبر مظهراً من مظاهر العنصرية. ويرى بعض الباحثين أن من بين أسباب الظاهرة:

- ☑ البحث عن عدو جديد بعد انهيار المعسكر الشيوعي بتفكك الاتحاد السوفيتي.
- ☑ الصحوة الإسلامية التي أقلقت الغرب (أوروبا وأمريكا)
- ☑ تكاثر أعداد المسلمين في أوروبا وأمريكا وتزايد معدلات اعتناق الإسلام بشكل ملحوظ.
- ☑ صعوبة اندماج المسلمين وتذويبهم في المجتمعات الغربية، وحرصهم على التشبث بهويتهم الدينية والثقافية (كوندناي، 2016، ص 143).

بالمحصلة لقد برهن العديد من المفكرين الغربيين على أن ظاهرة الإسلاموفوبيا مجرد وهم وتخويف من الإسلام كان وراءه المحافظون الجدد والتيار المسيحي اليهودي واليمين المتطرف والحركة الصهيونية العالمية، بالإضافة إلى بعض الحكومات الغربية التي تكن العداء غير المبرر للإسلام وللعالم الإسلامي. ولعبت الدعاية المعادية للإسلام في الغرب المتوفرة على سلطة إعلامية فائقة دوراً كبيراً في تجذر العقليّة الجماعية المعادية للإسلام، وأدت إلى نشوء فكرة العداء للإسلام في اللاوعي عند الغربيين مستندة إلى الأرضية والاستعداد النفسي والتأثير الدفين الذي رسخته الدراسات الاستشرافية المتحاملة على الإسلام، والمضامين الثقافية للمقررات والكتب المدرسية المتداولة في المؤسسات التعليمية الغربية. إنها سلسلة محكمة الحلقات متفاعلة ومتداخلة فيما بينها ويعتبر الإعلام الغربي ومنه السينما أحد مكوناتها الرئيسية إن لم يكن أخطرهما على الإطلاق (شبي، 2012، ص 75-76).

فالمسلم قد يشكل خطراً بتبنيه للقيم والمعايير الإسلامية وتشبثه بها، ولذلك لا بد من صده والتخلص منه. كما وقد يشكل مواطننا صالحاً لدى باندماجه وتخليه عن هذه القيم والمعايير ولذلك كان لا بد من استخدام القوى الناعمة في سبيل خلق تصور يجعل من

المسلمين مشكلة حقيقية وحساسة تتغلغل وسط الغربيين من أجل توجيه ذلك لمصلحة القوى الأمريكية. فقد استطاعت وسائل الاتصال والإعلام الغربية المتعددة، والسينما الأمريكية خاصة أن تشكل عاملاً أساسياً في تكوين الصور السائدة والنمطية المسيطرة والمرعبة للإسلام والمسلمين في العقل الغربي وحتى العربي.

2. السينما الأمريكية وصناعة خطاب الكراهية الناعم:

"ليست المسألة أن يحكي شخص آخر حكايتنا، المسألة أيضاً في الطريقة التي تحكي فيها الحكايات".

إن السينما كأحد الفنون التي لا تعكس الواقع بقدر ما تسعى لإعادة صياغته وتشكيله باعتبارها صناعة تبيعنا الأحلام قبل الأفلام وتصنع لنا واقعاً رمزياً موازياً قد يتشابه أو يختلف مع واقعنا المعاش وتؤثر على تصوراتنا عن ذاتنا وعن الآخرين وفي طريقة الحياة والفكر، وتدخل كما يقول أحد الباحثين في دورة إنتاج المعنى الوجودي والثقافي لتوسطها للعلاقة بين الدال ومدلولاته، والادعاء بأن السينما أداة تسلية وترفيه لا ينفي كونها أداة لتشكيل الوعي والتلاعب به، فالقول أن الترفيه لا ينطوي على أية سمة تعليمية هو خدعة كبيرة وهو ما أكده الباحث إيريك برنو مؤرخ التلفزيون الأمريكي "إن الترفيه بما هو مفهوم لا يتصل من بعيد أو قريب القضايا الجادة للعالم مفهوم خاطئ لأن الترفيه ينطوي على إيديولوجية مضمرة في كل أنواع القصص الخيالية فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل أراء الناس" (شيللر، 1999، ص 90)، وهو ما أهلها سابقاً لتكون محركاً للعبة السياسية ويؤهلها اليوم لتكون الطرف الخفي الأقوى في صراع الحضارات حيث نجحت هوليوود إلى حد كبير في نشر مغالطات عن غيرها من الشعوب وفرض بيداغوجيا العدا للآخر على شعوبها، ليكون للإسلام والمسلمين الحظ الوافر من هذه الصور النمطية التي غزت العديد من الاتجاهات الإعلامية العالمية ممارسة بذلك السلطة الناعمة لإذعان رأي عام عالمي لا يعرف الكثير عن حضارة الآخر ولا يجتهد في اكتشاف الخصوصيات الثقافية، ورأي عام عربي يعرف الكثير عن ثقافته وصورته ولكنه لا ينجح في تسويق صورة تعكس هويته وتجعله في لب سؤال الحضارة (سوقال، بخوش، 2018، ص 95).

تضطلع السينما بأدوار غاية الأهمية على أصعدة الحياة البشرية المختلفة، انطلاقاً من التأكيد على قوة المحتوى الذي تقدمه، وتأثيره الشديد على المتلقي - لاعتبارات كثيرة - فهي بلا شك، تعكس قيم المجتمع وثقافته وأساليبه حياته، مولية الرعاية لاهتمامات الناس وقضاياهم الأساسية؛ مقدمة واقع المجتمعات وطموحاتهم، ومساعدة على التحرر العاطفي والاسترخاء والتفكير، ووفقاً لهذا المفهوم، غدت هذه الوسيلة الجماهيرية بمثابة النافذة السحرية التي نرى من خلالها أنفسنا، والعالم الذي يحيط بنا.

حيث تلعب السينما الغربية دوراً هاماً في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وتزعم هذه العملية اليهود الذين أسسوا هوليوود وباقي الاستوديوهات الأمريكية السينمائية الكبرى، والشركات السينمائية العالمية الشهيرة مثل Universel و Warner Brothers و Paramount و Columbia (بن سعيد، 2010، ص 92).

وقد بين الصحافي الأميركي نيل غابلر NEAL GABLER في دراسة له صدرت عام 1988 بعنوان "الإمبراطورية التي تخصهم: كيف ابتدع اليهود هوليوود"، في "أن اليهود أسسوا جميع الاستوديوهات الأمريكية السينمائية الكبرى، بما فيها صناعة السينما الأمريكية متمثلة في كبرى الشركات العالمية، وقد تأسست هوليوود عقب الحرب العالمية الأولى وقام بإدارتها يهود من أوروبا الشرقية، ثم لم تلبث أن غزاها كتاب يهود معظمهم شرقيون، ويقول "نورمان كانتور Norman Cantor" في دراسة له صادرة عام 1994 عن جامعة نيويورك تحت عنوان "السلسلة المقدسة، تاريخ اليهود"، أن إنتاج الأفلام وتوزيعها في هوليوود كان في الخميس من السنة الأولى من تأسيسها، وظلت السيطرة على مستوى القمة في هوليوود لليهود، وفي أوائل التسعينات من القرن العشرين سقط آخر معقل في هوليوود كان يديره اليهود وهو أستوديو "ديزني"، وظلت هوليوود على مدار حقبة طويلة من الزمن قد تصل إلى ثلاثة أرباع القرن تعمل بدأب على تشويه صورة العرب والمسلمين وتصويرهم بأنهم "برابرة، همج رعاع، خونة قذرون، جبناء"، وأن اليهود أكثر تمدناً وتسامحاً وشجاعة، ذلك التقابل الذي يسميه مؤرخو السينما أفلام الطيب والخبيث، وفي الستينات وحدها نجد على الأقل أكبر عشرة أفلام أنتجت لعب أدوار البطولة فيها الأمريكيون اليهود مثل - بول نيومان Paul Newman - توني كورتيس Tony Curtis - كيرك دوغلاس Kirk Douglas . وآخرين كثير (شحاتة، 2004، ص 40).

أما دور العربي فيلعبه عادة ممثلون كومبارس- من الدرجة الثالثة والرابعة، ويستحسن أن يكون قبيح المنظر لا يتعاطف معه الجمهور وفي أحسن الأحوال يؤتى بهم من أمريكا اللاتينية وإسبانيا وجنوب إيطاليا من تشبه ملامحهم ملامح العرب مع عدد قليل من العرب الذين لا يلعبون دوراً رئيسياً في الشريط، وإنما يشكلون عادة خلفية للمشاهدة السينمائية كانت تغطي محتويات الأفلام المسيئة للعرب والمسلمين على مدار المائة عام الماضية.

وقد أشار شاهين في إحدى الدراسات التي أجريت لحوالي (1000) فيلم سينمائي من إنتاج الصناعة الهوليوودية، أنها تبث الصورة النمطية للعرب والمسلمين بأنهم "(يثيرون البغض، أشرار، وحوش، فاسقون، يعيشون في الصحراء أو الحديقة المشثومة)، كما جاء ذلك في فيلم (sahara)، وأضاف أن حوالي (300) ألف فيلم بنسبة 25% تعكس صورة العرب النمطية والتي اختصرت كمصدر للفكاهة الرخيصة (بن عيشة، 2016، ص 67-68).

إذ صنف العرب والمسلمون على أنهم تجار مخادعون، معتوهون وأغبياء، وأخيراً مجرمون بأنوف معقوفة مستعدون للقتل بسيف مشهرة حينا، وأسلحة آلية حينا آخر، أما النساء العربيات بدورهن فهن إما حريم مغويات أو شبه عاريات (...). يتبعن أزواجا طويلي اللحي، أما الإسلام فيصور على أنه دين قبلي وبدائي، والمسلمون حملة التخلف والبدائية، أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم، ويمثلون في الوقت ذاته خطراً رهيباً يهدد الآخرين، كما أن هناك العديد من الأفلام التي أنتجتها هوليوود وصلت إلى حد الربط الصريح بين الشعائر الدينية الإسلامية والأعمال الإرهابية، وقد استهدفت بعض الأفلام تصوير الشعائر الدينية الإسلامية، وكأنها فاتحة العمل الإرهابي (فلاك، جفافلة، 2020، ص 63).

وهذا ما أيدته دراسات كثيرة رصدت صورة العرب والمسلمين في أذهان المجتمعات الغربية، من خلال تحليل محتوى الأفلام السينمائية والرسوم المتحركة وصور الكاريكاتير، وتتفق الدراسات على أن وسائل الإعلام الغربية عموماً تركز الصورة الذهنية السلبية عن العرب والمسلمين. ومن ذلك ما ذكر في كتاب «المخادعون» للكاتب والناقد السينمائي الأمريكي (جاك شاهين Jack Shaheen) حين قال: "دلت أبحاثي التي دامت أكثر من عشرين سنة على أن كلمتي عربي - ومسلم تثيران ردود فعل عدائية يصعب معها على الجمهور أن يميز الحقيقة من الخيال، وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة ذلك إلى هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض المسلمون" (صالح، 2020، ص 268).

لقد كان عدد الأفلام التي نشرت الخوف من الإسلام في أمريكا كبيراً، رصده الباحث جاك شاهين في دراسته حول "العرب الأشرار: كيف شوّهت هوليوود شعباً"، ومن بين هذه الأفلام، و على سبيل المثال: فيلم Exodus سنة 1960، Black Sunday سنة 1977، Iron Eagle و Delta Force سنة 1986، وأيضا و Rules of Engagement سنة 2000 وفيلم The Mummy سنة 1999، وغيرها الكثير من الأفلام التي أنتجتها هوليوود وروجت لها عبر العالم. وفي أوروبا واظبت أغلب الأشرطة والأفلام السينمائية، وأفلام الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال على تقديم صور مغلوطه ومشوهة عن المسلمين، ومن خلال دراسة مضمون البرامج التلفزيونية في أوربا اتضح أن أكثر الأفلام تشويها للمسلمين، هي الأفلام الفرنسية ثم الألمانية (بن سعيد، 2010، ص 93).

مثال: الرسوم المتحركة "علاء الدين Aladin" الذي أنتجته شركة ديزني، وفيه يصور علاء الدين ابناً لخياط فقير تطلب منه أمه أن يساعدها فيرفض، ويفضل اللعب مع أصدقائه في ساحة الحي، وحين يموت والده لا يبالي بالأمر، فيأتي الساحر ويحتال عليه، ويدعي أنه عمه ويأخذه إلى الكهف ليحضر له المصباح السحري.. وبعد أن يدخل يفاجئه بريق اللآلئ والجواهر فيركع أمامها، ثم يتجه نحوها ليملاً جيوبه، لقد تحول عن مهمته بعد أن بهر منظر الحلي والذهب، وكأنه قد خضع إلى سلطة المال الذي أخذ عقله، وملك عليه حواسه.

بعد ذلك يطلب علاء الدين من مارد المصباح أن يطعمه، ويزوجه، ويحضر له المال، وهذا مما يكرس العجز والافتكالك عند الطفل حتى تصيبه أحلام اليقظة، فيتخيل أن مارد المصباح سيكتب له واجباته، وسيحفظ عنه دروسه، و يقدم إليه الإجابة في الامتحان.

ومن الآثار السلبية لهذا الفيلم الكرتوني أن بعض مشاهده يؤثر في مشاعر الأطفال نحو دينهم، ويوجه الطفل إلى التسليم ببعض الأفكار المغلوطة، ففي مقدمة فيلم (علاء الدين) يبدأ الساحر (في النسخة الأجنبية) بالغناء، ويقول: "أتيت من أرض بعيدة (الصحراء العربية) التي يقطعون فيها أذنك إذا لم يعجبهم وجهك، إنه مجتمع وحشي، ولكنه بيتي..".

وفي الفيلم ذاته تتنكر ابنة الخليفة العربي، وتسير في السوق، ثم ترى فتاة مسكينة تنظر إلى تفاحة فوق منضدة أحد البائعين فتأخذها الشفقة و تمد يدها إلى التفاحة دون إذن

البائع، وتعطيها للفتاة المسكينة، ولكن البائع الذي صور على هيئة فقيه حليق الشارب طويل اللحية واضعة عامة - يمسك سيفاً، ويضع يد ابنة الخليفة فوق المنضدة، ويهم بقطعها قائلاً: "هكذا نصنع بالسارق.." إن تصوير العرب بهذه الصورة من السذاجة، وأنهم قوم ليس في قلوبهم رحمة أو شفقة، يقطعون الأيدي عقوبة على سرقة تفاحة من أجل مسكينة فقيرة. وفي الفيلم ذاته يعرض الخليفة العربي بصورة تدعو إلى الضحك، فهو مشغول بجمع الجواهر النفيسة، ومستعد لبيع ابنته وتزويجها برجل شرير مقابل خاتم نادر، ثم هو مشغول بجواريه وطعامه، وقد رُسم بصورة رجل لا يستطيع القيام إذا جلس؛ لأن بطنه ضخمة إلى درجة تمنعه من القيام، وهذا كله طعن بتاريخنا العربي، وتسفيه الشخصية الخليفة العربي المسلم في أذهان الأطفال.

وفي الفيلم ذاته يهرب علاء الدين من الشرطة، وفي بضع ثوان، وبطريقة جذابة مثيرة يدخل إلى كثير من البيوت من خلال النوافذ، ويصطدم بنساء عربيات وهن يجتهدن في تزيين أنفسهن ويتسابقن لتقبيل هذا الهارب، ثم يقع في الخيبة والإخفاق، ثم يتشاجرن بعضهن مع بعض؛ لأن إحداهن لم تحظ بهذا الهارب، وهذا فيه ما فيه من توجيه الطعنات إلى الأسرة العربية المسلمة المحافظة، في نفس الوقت تم تصوير العرب بأنهم همجيون غير متحضرين تهيم بهم الفتيات الراقصات شبه العاريات، يعيشون في خيام، ويركبون الجمال، وأنهم ينتسبون إلى ديانة وحشية معادية للأمن والسلام (نتوف، 2007، ص 24-25).

إن الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين في السينما الغربية تغدو منذرة بالخطر، فكل من أراد صناعة فيلم عن الإرهاب أو إنتاجه، يصور المسلمين إرهابيين تلقائياً، لأنها الفكرة السائدة عن الإسلام في المجتمعات الغربية، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث اتجهت السينما الغربية إلى إنتاج أفلام تجعل من الإسلام خصماً سياسياً وثقافياً، يمكن أن تمارس معه الأساليب نفسها التي استخدمتها هوليوود في عقودها السابقة.

وعموماً فقد نجح الغربيون في رسم صورة مشوهة للعرب والإسلام، والحضارة العربية والإسلامية في الذهن الغربي، وأن تلك الصورة المشوهة هي السائدة حتى اليوم في الكتب المدرسية الغربية والمناهج التعليمية في المدارس والجامعات في أوروبا؛ وأن وسائل الثقافة والاتصال الحديثة في الغرب تبث الصورة النمطية، والاختزالية، والسلبية التي رسمها الاستشراق للعرب والإسلام في السينما، وذلك في ظل الغياب التام لسياسة ثقافية إعلامية

عربية موجهة إلى الغرب لإعادة تشكيل صورة حقيقية مشرفة للعرب والإسلام، والرد على حملات التشويه المخططة والمنظمة والموجهة إلى العرب والمسلمين.

مختارات سينمائية أمريكية تناولت الإسلام والمسلمين... المسلم بألف صورة مشوهة:

تحلت السينما الأمريكية بقدرتها على صياغة وترويج العديد من الصور المباشرة والمبطنة، حيث قدمت في أفلامها عددا من الصور المتنوعة للعرب والمسلمين بشكل مباشر أو غير مباشر، وسوف نستعرض عددا من هذه الصور التي قدمتها السينما الأمريكية:

أ. **صورة المسلم الثري الشهواني الخسيس... فيلم Taken 1:** أساءت السينما الأمريكية للكثير من الأفكار والمعتقدات والقيم التي تحدد هوية المسلم العربي وصورته في كثير من الأفلام السينمائية، تعتبر صورة الشيخ المسلم العربي الفاجر، والشهواني، والخسيس، من أسوأ الرواسب والصور الباطلة التي تقاطعت والمعتقدات الدينية والعقائدية للمسلمين وعششت وتجذرت في عقلية المشاهد الغربي، بسبب ما كرسته الأفلام الهوليوودية في مشاهدتها ورسخته في أحداثها، ومن أهم هذه الأفلام المعادية والحديثة التي ربطت المسلم والعربي بصورة زير النساء فيلم Taken1 .

تدور أحداث الفيلم حول عميل المخابرات الأمريكي المتقاعد برايان ميلز (Liam Neeson) الذي يسافر إلى أوروبا من أجل إنقاذ ابنته كيم (Maggie Grace) ذات السبعة عشر عاما وصديقتها أماندا (Katie Cassidy) اللتين تم استدراجهما واختطافهما أثناء سفرهما لقضاء عطلة في فرنسا وأوروبا، حيث وقعت الفتاتان في قبضة عصابات إجرامية من البلد المسلم ألبانيا، إذ دخلت هذه العصابات فرنسا منذ سنوات واتخذت منها مركزا من أجل ممارسة العديد من العمليات غير الشرعية والقانونية، مثل السرقة، وتهريب المخدرات، والاتجار بالناس والفتيات، وتحويلهن إلى مدمنات، واستغلالهن في عمليات الدعارة المنظمة وغيرها. يتصف أفراد هذه العصابات بإطلاق لحاهم وشعرهم القاتم الأسود والكثيف، وكذلك برسم وشوم الهلال والنجمة على أجسامهم.

توفيت أماندا جراء جرعة مخدرات زائدة أعطيت لها من قبل العصابة الألبانية، أما كيم فقد تم معاملتها معاملة خاصة بسبب عذريتها، فقد عرضتها العصابة في إحدى القاعات الخاصة على مجموعة من كبار الأثرياء، الذين لهم اعتبارات خاصة، لتبدأ عملية المزايدة، فتكون الفتاة من نصيب العربي الذي دفع المبلغ الأعلى، تُقتاد كيم وغيرها من الفتيات

العذارى إلى يخت فاخر في فرنسا يعود إلى شيخ ثري عربي، تحيط به حاشية من الرجال الذين يتحدثون اللغة العربية، إذ يسعى الشيخ صاحب المملكات والشهوات، خلف الفتيات الأجنيات والمراهقات، إلا أن العميل برايان يستطيع اقتحام اليخت، وقتل العصابة العربية، ومن ثم الشيخ العربي بطلقة واحدة في رأسه.

إن تصوير الألبان والعرب والمسلمين في العديد من المشاهد الضالة في الفيلم على أنهم أفراد عصابات ومنظمات إجرامية خطيرة لها سيطرتها ونفوذها، يوطد مشاعر الازدراء والاحتقار تجاه العرب والمسلمين. كما أن إظهارهم بصورة الإنسان الشرير بطبعه، يبخس من قيمتهم ومكانتهم، ويحط من قدرهم في نفوس المشاهدين، ويثير مشاعر الخوف، والنفور والاشمئزاز لدى الجمهور مما يؤدي إلى خلق موجة العداوة والتوتر وتناميها ضدهم في المجتمع الغربي. وتزداد خطورة هذه الصورة بعمق الأحداث وتكررها في العديد من الأفلام الغربية والعالمية.

ب. صورة المسلم المضطهد للمرأة... فيلم رجم ثريا *The Stoning of Soraya* : يعتبر مفهوم القوامة أحد أهم هذه لمفاهيم التي تناولتها الأفلام بشكل مغلوط واستغلته لخلق صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين. ويدعو مفهوم القوامة في الإسلام لرعاية ومسؤولية الرجل وحمايته للمرأة، إلا أن بعض المجتمعات العربية الإسلامية ومن أهمها المجتمع الإيراني ومن وجهة نظر المخرج أساءت فهم هذه المسؤولية، لتقر بموجها دونية المرأة وتعزز تسلط الرجل واحتقاره وقهره لها.

يعتبر فيلم رجم ثريا أحد هذه الأعمال السينمائية التي تناولت قضية ضعف ودونية المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية، يثير الفيلم قضية رجم امرأة إيرانية بالحجارة بعد ارتكابها جريمة الزنا في إحدى القرى الإيرانية النائية، إذ وقعت ثريا العفيفة ضحية مؤامرة قذرة بتدبير من زوجها المسلم الإيراني علي الذي لفق لها هذه التهمة بمساعدة الشيخ الملا حسن، وعمدة القرية إبراهيم، إذ دبروا لها عملاً عند رجل أرمل في بيته، مما أتاح لهم فرصة إثارة الفتنة والشائعات، واتهامها بالزنا حتى يتخلص منها زوجها علي ويتزوج طفلة بعمر 14 عاماً، وذلك بعد أن رفضت الطلاق منه لامتناعه عن إعالة ابنتيه ونفقتهما.

يفترض مجتمع الفيلم الشرقي الذكوري المتمثل في أبناء القرية الإيرانية النائية في النساء أن يكن مغطيات، صامتات، منكسرات، ضعيفات، عاجزات، يقبلن الإهانات، والضرب،

مطاطات الرؤوس، خاضعات للرجل الذي يسلمهن حريتهن بسلطته المطلقة عليهن حتى وفاتهن، وبالتالي يفترض غياب حقوقهن كافة.

تعاني المرأة المسلمة في الفيلم من دونية مرتبتها بالنسبة للرجل المسلم، فصوت المرأة لا أهمية له في هذه القرية، وأما الرجل المسلم في الفيلم فيفتقد للقيم والمبادئ السامية، فهو الشخص الفاسد، الشهواني، ووظيفة المرأة هي إمتاعه وتسليته لا غير، وتعاني المرأة في ذات المجتمع الإسلامي من السلطة المطلقة لرجل الدين، والأب، والزوج، والأخ، فرجل الدين المتمثل بشخصية الملا يلبس ثوب الطيبة والصلاح والقداسة ويوظف الدين لخدمة المجتمع الذكوري .

ت. صورة المسلم البدائي وبلا المبادئ... فيلم صورة ثلاثية الأبعاد للملك A

Hologram for the King: تعتبر صورة المسلم البدائي من أكثر الصورة التي يتم تداولها في الأفلام الأمريكية الهوليوودية لتتخذ بذلك صفة الملازمة والديمومة. فمع اختلاف طاقم التمثيل، وأماكن التصوير، واختلاف طرق تجسيد الأفكار وتسويقها، إلا أن هوليوود لم تتوقف عن إلصاق تهم الجهل والتخلف والهمجية بالعربي والمسلم في أفلامها، ومن أبرز الأمثلة على تلك الأفلام أيضا فيلم صورة ثلاثية الأبعاد للملك، حيث يعتبر هذا الفيلم السينمائي من أكثر الأفلام العنصرية التي كان لها وقعها المؤثر، والتي أثارت جدلا كبيرا في الوقت الذي عرضت فيه، إذ شوه الفيلم في مشاهده الإسلام دينا وحضارة وتاريخا، من خلال فرض الصور المنحرفة التي تسيء للثقافة العربية الإسلامية، وللعرب والمسلمين على حد سواء. عمل المخرج على تجسيد الإنسان المسلم كشخص ملتحقا بغطاء ديني لا يمت للإسلام الحقيقي بصلة، كما عُرض بصورة الإنسان الثري الذي يمتلك المال والنفط والسيارات الفاخرة، ولكنه بالمقابل إنسان كسول خامل واتكالي، هش، فارغ من الداخل، جاهل، تافه الاهتمامات، سخي، وبلا هدف حقيقي، وأنه يعيش في بيئة مليئة بالانحرافات الفكرية، والعقائدية، والأخلاقية.

وتعتبر هذه الصورة من أكثر الصور الحاضرة في معظم الأفلام الأمريكية التي تتناول صورة العرب والمسلمين تقريبا والتي بموجها يتم تصوير الإنسان المسلم على أنه الإنسان البدائي البدوي الذي يمتطي النوق والجمال، ويعيش في بيئة عربية صح روية قاحلة

محدودة عمرانيا وبلا فرص وخيارات حقيقية؛ وهو الشخص الذي يتعامل بكل أمور حياته بشكل ساذج وبدائي، وقد يكون ذلك نتيجة لطبيعته وطبيعة مجتمعه البدائي غير المتحضر.
خاتمة:

يقول آرون كوندناني: "إن الاستخدام الذي لقوة الغرب الناعمة يمكن أن يغير الميزان إلى صالحنا"، لا شك أن الأفلام السينمائية الأمريكية بتقنياتها ورسائلها وصيغها الأسطورية، شكلت قوة مؤثرة وفعالة لنسج الصور المزيفة وتسويقها، فقد سخرت هوليوود كل إمكانياتها من أجل خدمة مصالحها الغربية لشيطنة المسلمين، وتشويه صورهم وإصاق التهم بهم، وسعت جاهدة لتركيزها في أذهان الجماهير. إذ احتل الإسلام والمسلمون حيزاً كبيراً في الإعلام الغربي وفي السينما الأمريكية خاصة، فقد اختير المسلم عدواً إعلامياً تقدمه هوليوود بصورة نمطية في أفلامها السينمائية، وذلك في سبيل مسخ الصورة العربية الأصيلة واستبدالها برؤية شديدة العدائية، من شأنها أن تخدم مصالح الغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لعبت السينما الأمريكية دوراً خطيراً في بث الأفكار والمعتقدات المنقوصة، وتشكيل الصور النمطية القاتمة عن الإسلام والمسلمين لدى العالم الغربي وخارجه. فلم تنفك بإنتاجاتها الفنية الغزيرة عن تأصيل هذه الصور السلبية وغير الحقيقية، والتي بقيت شبه ماثلة ومتجذرة إلى يومنا هذا، مما أسهم في نسج صورة الإنسان المسلم الغريب المنبوذ، والعدو الخطير على الإنسانية في مخيلة المشاهد الغربي، وبالتالي استحلال نزع شرعيتهم، وتجريدتهم، ونبذهم، واستبعادهم، إذ أظهرت السينما الأمريكية الشخصية المسلمة في عدة صور نمطية المشوهة والمزيفة مثل صورة المسلم الإرهابي، والبدائي. وقد ينبثق عنها تصنيفات مرتبطة بها وذات علاقة كالعنف والجهل.

فالمتتبع للسينما الغربية يدرك أننا أحد النماذج المرجعية التي كان لها الدور الكبير في الترويج لظاهرة الإسلاموفوبيا لدى الرأي العام الغربي والعالمي، حيث سجّلت السينما الأمريكية في هذا الصدد، عدداً هائلاً من الأفلام التي تتجلى فيها صورة المسلم بأوصاف مهينة، وذلك بالتأكيد على أنه العدو الأول للغرب، هو المجرم العنيف، عديم الرحمة، المنحرف، والمتخلف، والمتعصب دينياً، والمتلهف للمال، والإرهابي المتهم على الدول الغربية، وذلك في إطار سياسة ممنهجة لغرس الصورة النمطية عن الآخر العربي، حيث

اعتمدت السينما الأمريكية في أفلامها على أسلوب التكرار، الإلحاح على صورة المسلم الإرهابي مقابل البطل الأمريكي الحامل للقيم الإنسانية والديمقراطية.

تكمن خطورة تأثير السينما على المتلقي في كونها ترفهية لا تدرك مضامينها الضمنية بسهولة ففي الوقت الذي نجد القارئ في العادة ما يكون على دراية كافية بما سيختاره قبل قراءته، فإنّ الصحيفة ما تكون معروفة التوجه والمنهج، فإنّ الأمر يختلف كثيراً مع الأفلام السينمائية والتي تتغيّر توجهات أصحابها في كل مرة حسب القصة والسيناريو الذي تم اختياره لإنتاجه.

حيث يعتبر كل عمل فني هو عمل "وحدوي الاتجاه" يتم التعبير عن المواضيع وتأويل الأحداث والقضايا من وجهة نظر واحدة، بالاعتماد على أقوى المؤثرات بسبب طبيعتها الجذابة، والتي تحمل المشاهد ليعيش أحداثها ويتفاعل معها لتتجسد في عقله وخياله الخاص، وعليه فالسينما اليوم لم تبق وسيلة للتعبير فقط بل أصبحت وسيلة للتغيير، حيث تسعى لفرض هيمنة صاحبها وتسويق عولته الهادفة إلى القضاء على الخصوصيات الثقافية وهدم الهويات المحلية.

التوصيات: خرجت دراستنا بمجموعة من التوصيات نجل أهمها في النقاط التالية:

◀ ترسخ هذا التلوث الإعلامي والسينمائي الأمريكي منذ القدم نتيجة لخلفيات تاريخية وسياسية وفكرية ودينية واجتماعية قديمة، بالتالي فإن التصدي لها ليس بالأمر الهين، إلا أنه لا بد من تتبع هذه الصور وأخذها على محمل من الجد، بامتلاك عين واعية ناقدة.

◀ تحصين وتوعية العوام من العرب والمسلمين من أي صور نمطية أخرى قد تقع في قوالب جديدة ومحسنة، والعمل على مواجهة هذا التحدي بعيداً عن أي ممارسات قد تفاقم أزمة تشويه الواقع العربي والإسلامي.

◀ لا بد من إنتاج صور بديلة ومضاعفة الجهود والاستثمارات الفاعلة لتفعيل دور السينما العربية الإسلامية عالمياً.

◀ كما توصي الدراسة باستكمال هذا الجهد بدراسة محاور مختلفة لتغذية جوانب فكرية متعددة، وكذلك تأسيس مراكز أبحاث ومؤسسات عربية إسلامية في داخل الولايات المتحدة الأمريكية لتبادل الأبحاث والدراسات، مما يتيح فهماً حقيقياً للواقع العربي الإسلامي، ومحاولة التحرر من أسر هذه الصور النمطية.

قائمة المراجع:

- أبو عاصي علي صالح رؤى، (2018)، الصورة النمطية للمسلم في السينما الغربية: السينما الأمريكية أنموذجاً، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس.
- أبو يحيى محمد وآخرون، (2002)، الثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة. دار المناهج، عمان.
- بشاري محمد، (2004)، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق.
- بن سعيد المحجوب، (2010)، الإسلام والإعلاموفوبيا: الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، دار الفكر، سوريا.
- بن عيشة عبد الكريم، (2016)، صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي: منطلقات فكرية، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المجلد 03، العدد 02.
- البنارجب، (2008)، صناعة العداء للإسلام، دار المعارف، القاهرة.
- بوجمعة رضوان، (2020)، خطابات الكراهية في وسائل الإعلام وآليات مواجهتها: القانون الدولي الإنساني والأخلاقيات المهنية، المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19 العدد 02.
- الحبيب كاظم، (2011)، التحريض وأشكاله في الوساطة الاتصالية، دمجية القنطرة للنشر، بغداد.
- سبيع هشام، (2018)، الإعلام وظاهرة الإسلاموفوبيا، مجلة مقاربات، المجلد 5، العدد 2.
- سوقال إيمان، بخوش فاطمة، (2018)، الطرح السينمائي لصورة الإسلام والمسلمين في الأفلام الهندية.. تصحيح أم تقليد: دراسة تحليلية لفيلم My Name is Khan وفيلم Kurbaan، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 1، العدد 2.
- شاهين جاك، (2013)، الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية، ترجمة: خيرية البشلاوي، المركز

- شحاتة سعيد، (2004)، الإسلاموفوبيا في بريطانيا، مجلة التواصل، العدد الرابع، طرابلس.
- شيللر، أ. هيربرت، (1986)، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت.
- شيمي ستيفن، (2012)، الإسلاموفوبيا: الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين، الطبعة الأولى، ترجمة: فاطمة نصر، إصدارات سطور الجديدة، القاهرة.
- صالح عبد الله أحمد حسناء، (2020)، ظاهرة الإسلاموفوبيا: المفهوم، النشأة، أبرز الجهات المساهمة في إذكاء الظاهرة، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الرابع، العدد الأول.
- العاروري تائب، (2016)، الاتصال في زمن الكراهية، دار البيان، الأردن.
- عبد السلام سعد، (2021)، جذور صناعة خطاب الكراهية في ثقافة المجتمع المعاصر، مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 3، العدد 1.
- فلاك فريدة، جفافلة داود، (2020)، مصادر الصورة الذهنية والنمطية للإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 5.
- كوندناني آرون، (2016)، المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب، ترجمة: شكري مجاهد، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر.
- اللاوندي سعيد، (2006)، الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- مزوز كريمة، (2016)، خطاب الكراهية من خلال وسائل الإعلام وأثره على مسألة حماية المؤسسات الإعلامية في زمن النزاعات المسلحة، مجلة مقاربات، المجلد الرابع، العدد الثالث.
- نتوف أحمد، (2007)، الغزو الفكري في أفلام الكرتون، الطبعة الأولى، دار نحو القمة للنشر، دمشق.

- هنتنغتون صاموئيل، (2010)، صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي، ترجمة: عباس هلال كاظم، دار الأمل، الأردن.
- الإسلاموفوبيا تُستخدم لتبرير التمييز... الأمم المتحدة تحذر من الكراهية ضد المسلمين، مقال منشور على شبكة الانترنت، شوهده بتاريخ 10/24، 2022، على الساعة 11:15 صباحاً، <https://mubasher.aljazeera.net/news/2021/3/5>
- Hajjat Abdellali, Marwan Mohammed. **L'islamophobie : comment les élites françaises fabriquent le « problème musulman »**, La Découverte, Paris, 2016.
- Volpi Frédéric, **Islam and democracy, The failure of dialogue**, 1st published, Pluto Press, London, 2003.